المعرب والدخيل في القصص القرآني -قراءة في الأبعاد الدلالية والقيم الحضارية

Non-Arabic words in Qur'anic stories- Reading in semantic dimensions and civilizational values-

دة. ناعيم مليكة،*Malika Naaim*

كلية اللغة العربية، مراكش

Faculty of Arabic language, Marrakech

إيميل الباحث:*Nana_malika@ymail.com*

الملخص:

يمثل المعجم مظهرا أساسا من مظاهر الإعجاز القرآني؛ نظرا لطبيعته وسماته المميزة، ومن أبرزها تمثله لبيئة النزول من خلال احتوائه لألفاظ دخيلة من لغات أخر تعايشت مع اللغة العربية لداع ما؛ في سياقات محددة ضمن القصص القرآني مع وجود المقابل العربي المتداول. وقد تعددت المواقف في الموضوع بين منكر ومثبت، ولكل أدلته، لكن فهم المغزى وبحث الدلالة ينتصر للرأي الثاني، ويعده من مظاهر قوة اللغة العربية.

وتسعى هذه الورقة البحثية إلى بيان بلاغة هذه الألفاظ في تصوير الأحداث وقوتها في تمثل تلك القيم من خلال بحث دلالات ألفاظ عروبية (سامية) في بعض القصص القرآني في علاقتها بالسياق والمقام؛ وسيركز البحث على قصة يوسف وقصة إبراهيم عليهما السلام.

الكلمات المفاتيح: المعجم، الدخيل، القرآن الكريم، القيم الحضرية

Abstract:

The lexicon represents a basic manifestation(aspect) of the Qur'anic miracle, due to its nature and distinctive features, and most notably it represents the environment of revelation through its inclusion of borrowed terms from other languages that coexisted with the Arabic language for some reasons; in specific contexts within the Qur'anic stories with the presence of the Arabic equivalent in circulation. There have been many positions on the issue between what is evil and proven, and for all its evidence, but understanding the meaning and discussing the significance supports the second opinion, and it is considered one of the representations of the power of the Arabic language.

This research paper seeks to demonstrate the eloquence of these terms in depicting events and their strength in representing these values through researching semantics of Arab (Semitic) words in some Quranic stories in their relationship with context and denomination; the research will focus on the story of Joseph and the story of Ibrahim, peace be upon them.

Key words*: lexicon, Non Arabic word, the Noble Qur'an, urban values.*

تقديم:

يعد المعجم من مظاهر الإعجاز الأساس في القرآن ذلك لأنه تمثل قضايا أساس في بيئة النزول ولغته. لقد نزل القرآن الكريم بلغة عربية انتقت من لغات القبائل العربية أجود الاستعمالات وأقواها، فتمثلت بذلك اللغة العربية المشتركة (اللغة الأدبية) وليس لغة قريش؛ بمعنى لهجتها كما زعم معظم الدارسين، نظرا للخلط الذي وقع بين اللغة واللهجة وهذا راجع إلى عدم التدقيق في الاصطلاح، وهذا مشكل كبير ليس هنا مجال لمناقشته. وتجاوزت لغات القبائل العربية إلى لغات أخر عايشت العربية لداع ما؛ قد يكون الاشتراك في الأصل (اللغات السامية (العروبية))، أو الالتقاء لسبب ما مثل التجارة أو الحروب من جهة ثانية، ولرحلة الشتاء والصيف التي كان يقوم بها العرب من شبه الجزيرة العربية إلى الشام دون أن ننسى وجود غير العرب في شبه الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية، وخاصة اللغة العبرانية.

ولم يكن وجود الدخيل في لغة القرآن الكريم يعكس عجزا في اللغة العربية كما توهم من أنكر وجود الدخيل في القرآن الكريم، وإنما على العكس؛ يمثل ميسما إعجازيا ومظهرا من مظاهر القوة؛ إذ تتمثل معالم الحضارة العربية إبان النزول من حيث انفتاحها على الأمم، ويبين عن حيوية اللغة العربية ومناسبتها لحمل خاتمة الرسائل وعالميتها. ومن المظاهر المجسدة لهذا الإعجاز في القرآن الكريم خصوصيات المعجم الدخيل في القصص القرآني من حيث طريقة انتقائه ومنهج توظيفه؛ ذلك ما تحاول هذه الدراسة معالجته من خلال عناصر ثلاثة.

1/ من خصائص المعجم والدخيل في القصص القرآني.

2/النموذج الأول: من سورة يوسف عليه السلام.

3/النموذج الثاني: من قصة إبراهيم عليه السلام.

1- من خصائص المعجم والدخيل في القصص القرآني:

تثير العبارات الدخيلة من لغات غير العربية في القصص القرآني أسئلة عدة، وتمثل مدخلا مميزا لقراءة معجم القرآن في علاقة بالسياق والمقام؛ لما يتسم به من خصوصيات لم يلتفت إليها المفسرون.

غالبا ما يختزل الحديث عن الدخيل في لغة القرآن الكريم، بل في اللغة العربية بشكل عام في ألفاظ مفردة عبارة عن مسميات لذوات مادية ومعنوية في لغات غير العربية؛ من مثل: إبريق، وسندس، وأسفار، وقرطاس، وصلاة، وزكاة، ودين،... وغيرها مما كان متداولا في بيئة النزول، وهو علة اعتماده في نظر الدارسين، بجانب أسماء الأعلام كما هي في الأصل أو مع تغيير وفق الخصائص الصوتية للغة العربية؛ نحو موسى عوض موشي، وعيسى عوض ياسوع، ومريم بدلا من مري، وإبراهيم بدل أبراهام، وغيرها مما ليس موضوع هذه الدراسة، وفيه كلام كثير سأخصص له بحثا مستقبلا بإذن الله.

إن مما يميز الدخيل في القصص القرآني ما يأتي:

1/ إنه لا ينحصر في المفردات وإنما يشمل أيضا عبارات (لا أقصد الجمل بمعناها النحوي لأن العبارة هنا تكون مركبة أحيانا من لغتين، أحيانا فعل عربي وباقي مكونات الجملة عربية) بمثابة جزء حي من الحوار الذي دار بين الأشخاص زمن القصة وبلغتهم؛ مما ييسر تمثل أحداث القصة داخل سياقها الحضري والتاريخي، وبهذا يمكن تفنيد دعوى من حصر الدخيل في أسماء الذوات؛ إذ تضمن أيضا الأحداث لدواع تاريخية وأخلاقية وحضرية.

2/ إن هذه العبارات توظف في سياقات ومقامات يمثل مضمونها مجال تحول في أحداث القصة من جهة، ونقطة تحول في القيم الحضرية والأخلاقية من جهة ثانية، وهي مسألة مهمة جدا لم يلتفت إليها؛ إذ لا يتم التحول من لغة إلى لغة فقط، بل هذا التحول يمثل قفزة نوعية بل قطيعة إيديولوجية مع طقوس وممارسات كانت الأمم السابقة تبيحها، ثم حرمتها الديانات السماوية، من مثل الزنا الذي شددت كل الديانات السماوية في حكمه وحده، والقرابين البشرية التي كانت طقسا تعبديا قبل زمن إبراهيم عليه السلام ثم حرمت في عهده عبر قصة الذبيح، والسؤال عن الغيبيات الذي يمثل قصة إبراهيم وسؤاله عن البرهان بداية نصية للنهي عنه.

3/ إن هذه العبارات تختزل بأسلوب بليغ مضامين عدة وتتعلق بمواقف تقتضي التلميح والإيجاز وأحيانا الستر، في حين اعتمدت الكتب السماوية في سردها الإطالة والتصريح بعبارات فاضحة ومباشرة، مما يعني مواكبة طرائق التعبير في الرسائل السماوية لمنظومة القيم الحضارية.

4/ إن هذه العبارات تمثل مظهرا بلاغيا ينفرد به القرآن الكريم؛ وهو الالتفات لا في الضمائر ولا في صيغ الأفعال، وإنما من لغة إلى أخرى، لأغراض بلاغية وحضرية وأخلاقية، وهو نوع لم يذكره أحد من علماء البلاغة.

وسأمثل لما ذكرت من قصتي يوسف وإبراهيم عليهما السلام مع اقتراح منهج للمقاربة.

2- النموذج الأول: قوله تعالى: "وقالت هيتَ لك": من سورة يوسف:

تتميز قصة يوسف في القرآن الكريم مقارنة بغيره من الكتب المقدسة بخصائص؛ منها: من حيث الورود أنها القصة التي خصصت بسورة تحمل اسمها ولم تكرر في القرآن الكريم. ومن حيث البلاغة تتسم بالإيجاز والتلميح في مواضع عدة، فمثلا لم يسم من الأشخاص باسمه إلا يوسف عليه السلام، في حين ذكرت التوراة الأشخاص بأسمائهم الشخصية ما عدا زوج عزيز مصر التي اكتفت فيها مثل القرآن بالوصف. ومن حيث المعجم تمثل من أغنى السور القرآنية بالمعجم الدخيل عن طريق الحكاية، واللافت في هذه الحكاية هو الالتفات من اللغة العربية في بعض المواضع المركزية والفاعلة في القصة إلى نقل العبارة في لغتها الأصل كما تلفظ بها الشخص زمن القصة ثم يجيبه الطرف الثاني مباشرة في الحوار باللغة العربية؛ مما يثير أسئلة عدة؛ منها: لماذا هذا التحول العجيب والمفاجئ والنادر؟ ما المغزى منه؟ ألم يكن ممكنا إدراج الحوار كله إما باللغة العربية وإما بلغة المتحاورين؟ أليس في كلام العرب مقابلا لـ"هيت" العبرانية أو الآرامية؟ أم لم تكن العرب تعرف مقابل "معاذ الله" بالعبرانية؟

لنتأمل الآية إذن؛ "وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي". سورة يوسف، الآية، 23.

بالنظر في كتب التفسير يتضح أن دراستهم لهذه المادة وخلافهم حولها ينحصر في جنسها: أعربية هي أم أعجمية؟ وإذا كان معظمهم يرجح أعجميتها مع تحديد المعنى القريب: تعالى أو هلم لك[1]، فإنهم لم ينشغلوا بما فيها من نكت بلاغية وقيم تربوية، نظرا لتفسيرها في ذاتها فقط، وليس في علاقتها بما قبلها وما بعدها؛ وهذا مما يكشف أهمية الدراسة النصية للقرآن؛ لأنها تكشف دررا ثرية كما سنرى في "هيت"، ويبين عن مصدر ما في التفاسير من فراغات تحتاج إلى الملء وفق تصور جديد، ويتضح منها أيضا أن فهم لغة القرآن تقتضي الدراسة الأفقية الداخلية وليس فقط القراءة العمودية؛ لأنه نسق وكل متجانس يقتضي فهمه قراءة نسقية وفق الموضوعات، وفي بعض الموضوعات يقتضي قراءة أفقية خارجية لتأكيد الفرادة وتبين معالم الإعجاز، وهذا ما سنجربه في هذه الدراسة.

تجمع الآية السابقة ثنائيات متناقضة ذات حمولات حجاجية ودلالية قوية؛ وهي:

الطرف الأول	الطرف الثاني
أنثى	ذكر
موصوف غير مسمى (امرأة العزيز)	مسمى: يوسف
سيدة	عبد مملوك
عمل ممنوع شرعا (التحريض على الفاحشة)	عمل مطلوب شرعا (العفة)
لغة أعجمية (غير عربية)	لغة عربية

فالطرف الأول زوج عزيز مصر، تأمر بحكم مركزها الاجتماعي وسلطتها اللذين يسمحان لها بذلك بالرذيلة بلفظ صريح في لغاتها. والعبد المأمور الطرف الثاني يتنزه عن الفعل ويرفضه لا لحكمه الشرعي (الحرام)، وإنما نظرا لتربيته الأولى في بيت أبيه وأخلاقه التي اكتسبها هناك، لما فيه من خيانة العهد ونكران جميل الرب؛ وهو لفظ يحتمل الرب، بمعنى عزيز مصر الذي اشتراه وآواه، أو الرب المعبود الذي اصطفاه، لأنه لم يرد نص صريح في تحريم الزنا في حينه بل إن القوم كانوا على دين آمون وكانوا يعبدون الأوثان، إلى أن آل الأمر إلى يوسف فهداهم إلى دين التوحيد، وفي السورة آيات عدة تؤكد الأمر. وهذا التحول من قيمة الشر إلى قيمة الخير كان عبر الالتفات في اللغة. وفهم هذه القيم أكثر يقتضي مقارنتين: داخلية وخارجية.

1/ المقارنة الداخلية: سيتضح المغزى من "هيت لك" إذا استحضرنا في المقابل عبارة أخرى نهانا القرآن عن توظيفها لشبهة انتمائها إلى اللغة العربية، على الرغم من أصالتها معناها في المعجم العربي واعتيادها بين العرب، في مقابل توظيف هذه العبارة غير العربية في مركز أحسن القصص القرآني كما وصفها القرآن الكريم، وهي سورة يوسف عليه السلام. فما القاسم المشترك بين العبارتين؟

قال تعالى: **"يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب آليم". سورة البقرة، 104.**

ينهى الحق سبحانه المؤمنين عن توظيف عبارة راعنا العربية، ويدعو إلى استبدالها بمرادفتها "انظرنا"، لكونها تتفق في اللفظ مع "رع" العبرانية ذات المعنى القبيح، لأن اللفظ موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، سدا لذريعة توهم اليهود سب الصحابة لنبيهم عليهم أفضل السلام وأزكى السلام. فعلة المنع هي الدلالة القبيحة في اللغة العبرية؛ إذ يحتمل اللفظ المعنيين؛ أن يكون دخيلا بالمعنى فيكون سبة كما توهم اليهود، وأن يكون بمعنى النظر والرؤية باعتماد الأصل العربي، فاتضح منه أن معيار انتقاء معجم القرآن وعباراته ليس فقط الاعتياد في البيئة، وإنما أيضا عدم اللبس أو احتمال التأويل بغير المقصود ولو في غير اللغة العربية. وهذا إقرار ضمني من القرآن بورود الدخيل في اللغة العربية وإمكانه في القرآن ما لم يحتمل معنى سلبيا.

وفي المقابل نجد القرآن يوظف "هيت" العبرية بغالب الظن، وتحمل أيضا معنى قبيحا، وهو الدعوة الصريحة إلى الفاحشة، فاستعاض القرآن عن اللفظ العربي مع وجوده باللفظ العبراني؛ لجرأة الموقف بالنظر إلى من صدر عنها[2]، وقد عد ابن القيم الجوزية عشرة وجوه للمكر في قوله تعالى: **"وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين".** يوسف الآية 30. مركزا في بيانها على المكانة الاجتماعية لامرأة العزيز بالنظر إلى الفعل الفاحش الذي أقدمت عليه مع العبد المملوك، ومنها الجرأة والمبادرة[3].

هكذا؛ فالعلة المشتركة بين المنع والاستعمال هي قبح المعنى. فالأول ممنوع تنزيها للصحابة من فعل مرفوض في الدين الإسلامي. والثاني مقصود حتى يبقى ذلك الفعل القبيح حبيس الحضارة والثقافة اللتين أنتجتاه، تنزيها للإسلام والمسلمين، وتوكيدا لأن التلفظ بهذا الفعل مكروه فكيف بفعله؟ ومن ثم صنف الزنا ضمن الكبائر وشددت عقوبته في الديانات السماوية كلها. بل لقد علل الزركشي عدم تكرار سورة يوسف في القرآن الكريم على خلاف غيرها من قصص الأنبياء بوجوه منها: "تضمن الأخبار عن حال امرأة ونسوة افتتن بأبدع الناس جمالا، وأرفعهم مثالا، فناسب عدم تكرارها لما فيه من الإغضاء والستر عن ذلك"[4]، وهذه من القيم المميزة للقرآن الكريم، فلم يتضمن علاقة عاطفية بين امرأة ورجل خارج مؤسسة الزواج إلا هذه. بل صحح الحاكم في المستدرك مرفوعا النهي عن تعليم النساء سورة النور، ويناسبه الحديث النبوي: "من أتى من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله، فإن من أبدى لنا صفحته أقمنا عليه الحد"[5].

2/ المقاربة الخارجية: يتضح المغزى من التعبير والتميز البلاغي للقرآن الكريم ومراعاته للقيم عندما نقارن هذه الموضع من القصة بنظيره في التوراة مثلا؛ إذ جاء الحديث عنه مطولا كررت فيه الدعوة الصريحة إلى الرذيلة أربع مرات بلفظ صريح مع التفصيل في الجزئيات؛

ورد في التوراة: "وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت: "اضطجع معي". فأبى وقال لامرأة سيده: "هو ذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت، وكل ما له قد دفعه إلى يدي. ليس هو في هذا البيت أعظم مني. ولم

يمسك عني شيئا غيرك، لأنك امرأته. فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟" وكان إذا كلمت يوسف يوما فيوما أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها.

ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله، ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت. فأسكته بثوبه قائلة: اضطجع معي! " فترك ثوبه في يدها وهرب إلى خارج...."[6] والنص طويل.

في حين اختصره القرآن الكريم بشكل غير فاضح ومهد للفهم بقوله تعالى: **"وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب"** لبيان قبح الموقف بالنظر إلى من صدر عنها الأمر[7]، ولتعليل الاختزال والستر، ثم لبيان أن الغلبة لقيمة الخير من خلال ما آل إليه أمر يوسف عليه السلام بعد هذا الابتلاء[8].

هكذا يتضح من خلال المقارنتين الداخلية والخارجية ما في هذه الآية من قيم:

1/ قيمة بلاغية: تتمثل في الالتفات اللغوي ذي الحمولات الدلالية والتاريخية والحضرية بجانب القيمة البلاغية الجمالية.

2/ قيمة أسلوبية: تتمثل في براعة التصوير وتنويع أساليب العرض وفق ما يقتضيه السياق والمقام. ومن ثم تميز أسلوب القرآن الكريم بالمراوحة بين الإيجاز والإطناب والمساواة. بين التصريح والتلميح. بين اللغة العربية والألفاظ الدخيلة من لغات مع تسجيل ندرتها. فكان القرآن نصا بديعا بليغا مجسدا للتحولات.

3/ قيمة أخلاقية تتمثل في:

- ترسيخ آداب الحديث من خلال انتقاء الألفاظ والعبارات بحسب المقام والسياق.
- الحث على تنزيه لسان المسلم وفعله عن الشبهات.
- الحث على قيمة الخير وذم الشر من خلال التفصيل في رد يوسف بعربية فصيحة ومبينة، واختزال كلام امرأة العزيز الفاحش بلغة غير واضحة لغير النخبة المثقفة.
- قيمة حضرية: تتمثل في تطور الأحكام والقيم والأساليب وفق مستجدات التشريع.

3- النموذج الثاني: من قصة إبراهيم عليه السلام:

وسأسلُك في مقاربته المنهج نفسه لتوكيد أن الالتفات في اللغة يخدم الهدف نفسه؛ إذ اللغة غير العربية حصر للحدث الذي تحمله. وتوظيف اللفظ العربي في نظيره سن لشريعة لها امتداد في الزمان والمكان ينسخ بها طقس وثني.

حضر حدث "الذبح" في قصة إبراهيم عليه السلام في مشهدين. وتباينت لغة التعبير عنه بينهما لتباين في طبيعة الحدث والمغزى منه، مع أنه ذبح في كلتا الحالتين بمعنى إخراج الروح بطريقة قصدية من دون التنصيص على الطريقة.

قال تعالى: **"وإذ قال إبراهيم رب آرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا". البقرة، 260.**

قال تعالى: **"فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى". الصافات، 102. وقال تعالى: "وفديناه بذبح عظيم"**. الصافات، 107.

تهمنا في هذه القصة عبارة «**فصرهن إليك**" مثل "هيت لك". اختلف المفسرون في معناها ورجح معظمهم، وفق موقفهم من الدخيل في القرآن الكريم، أن تكون بمعنى "اضممهن إليك" أو "أميلهن إليك"[9]؛ لكنه معنى لا ينسجم والسياق الذي وردت فيه. لهذا فاستحضار السياق وبَحث المادة يرجح أن تكون بمعنى شققهن أو قطعهن، ويؤيده أنه اللفظ المعتمد في التوراة "شق" مكررا على الرغم مما في القصة هناك من تحريف سأشير إليه؛ وهو لفظ سرياني "صرى" بمعنى قطع أو شق[10]، والشق هنا نوع من الذبح لأن الطريقة الشرعية للذبح لم تسن حينئذ بعد.

إن هذا الحدث "فصرهن" ارتبط بلحظة حيرة (وفي الموضوع أقوال خلافية) أصابت إبراهيم عليه السلام أمام تعنت قومه وإعراضه، أو أمام انبهاره باتخاذ الله له خليلا، فطلب دليلا للاطمئنان[11]، ثم استجاب له الخالق؛ أي أن الحدث محصور في شخص خاص (هو أب الأنبياء) وزمان ومكان معينين فلا تقبل الإرث ولا القياس أو التقليد. عبر القرآن بلغة إبراهيم السريانية كما خوطب بها حصرا للحدث كما فعل مع زليخا زوج عزيز مصر في "هيت لك"، فتبين منه أن الالتفات في اللغة هنا أيضا ذو مغزى دلالي وأخلاقي وتشريعي وحضري، وليس فقط التداول كما هو شائع.

ثم إن طريقة الذبح بشعة لما فيه من شق ودق وخلط وغيره مما وصفه المفسرون[12]. فالإيجاز أبلغ فيه من التفصيل، إذ ليس حدثا مركزيا في القصة، وقد يكون إبراهيم فعل وقد يكون اكتفى بالسؤال لمعرفة الكيف، ثم صار السؤال نفسه بدعة.

وفي المقابل نجد في قصة الذبيح – وهو أيضا أمر سبقته حيرة، ليس بمعنى الشك كما في الأول، ولكن لموقفه من طقوس قومه الوثنية ومن تقديم القرابين البشرية[13]، لكن بعد أن تكررت الرؤيا تأكد من أن الأمر مغاير لطقوسهم فاستجاب لأمر الرب المعبود- التصريح باللفظ "ذبح" بصيغتين؛ لأنه يمثل نقطة تحول في التشريع من خلال القطيعة مع طقس وثني عبر عنه بالفعل الدال على التحول والتغير "أذبحك" وسن لشريعة لها امتداد في الزمان والمكان عبر عنه بالاسم الدال على الثبات (ذبح عظيم). فبين العبارتين قطيعة إيديولوجية مع طقس وإعلان البديل، فهو التفات من حكم إلى آخر فكان التصريح واجبا وبليغا، وأما شق الطير فكان استجابة لطلب شخص خاص فاقتضى الأمر الحصر لغة ودلالة وحكما أيضا.

هكذا أدت اللغة دورا أساسا في التغيير والتشريع وتمييز الخاص من العام والمحدد من الشائع. فكانت لغة القصة بهذا التنويع وفق السياق والمقام الأبلغ في التصوير والتعبير والتدقيق.

المقاربة الخارجية: بالانفتاح على الكتاب المقدس نجده اعتمد في الأول "فعل شق"، مع تعيين نوع المذبوح من الإبل والأنعام والطير، وفي الذبيح المحرقة وفق نهجهم في التعامل مع الموتى. لكن ما يستوقف القارئ هو ذلك التحوير في المغزى

والسياق وفق أهواء اليهود من طلب الاطمئنان الروحي الإيماني إلى طلب الاطمئنان المادي من خلال أوهام اليهود ومزاعمهم، خاصة:

1/ وهم الاستخلاف في الأرض من خلال وعد إلهي مزعوم بإرث أرض ما بين الفرات والنيل وتمثله بالنسبة إليهم قصة الشق[14].

2/ وهم شعب الله المختار من خلال تحديد من الذبيح ومكانه[15].

ومن ثم تم الإعراض عن الإيجاز والإبهام إلى التفصيل في الزمان والمكان والحدث، وتعيين الأماكن والحدود بالأسماء وأنواع القرابين المقدمة، وغير هذا مما يؤكد أنها قصة من وحي الخيال وفق أهداف محدثة لا علاقة لها بالقصة الأصل.

وبالمقارنة بين القصتين يظهر دقة القرآن في سرد الأحداث ونقل الوقائع وربطها بقيم وأهداف تاريخية وعقدية وحضرية ولغوية[16]، بخلاف ما في التوراة من تحوير لأهداف خاصة تحكمت فيها مزاعم اليهود وأوهامهم فأثرت في طبيعة التعبير[17].

خاتمة:

يتضح من هذين النموذجين:

1/ أن توظيف القرآن لألفاظ وعبارات دخيلة لم يكن فقط لعلة التداول وتمثل لغة شبه الجزيرة العربية إبان النزول، وإنما تحمل دلالات عميقة تخدم السياق والمقام، وتبين عن تحولات أخلاقية وتطورات اجتماعية وترسخ قيما حضرية.

2/ أن فهم الدخيل في القرآن الكريم يقتضي دراسات تتبنى النسق وتنأى عن التجزيء، لأنه كل ونسق متجانس.

3/ أن قراءة المعجم القرآني تقتضي الانفتاح أيضا على الكتب المقدسة في إطار تقابلي يظهر تميز القرآن وفرادته.

4/ أن القصص القرآني مدرسة للتوجيه والتربية، ومرجع أساس للاتعاظ والعبرة، وخطاب بليغ طافح بالخصائص اللغوية والأسلوبية والبلاغية.

وأخيرا؛ توصي هذه الورقة البحثية بعقد ندوات وأيام دراسية في موضوع أثر السياق الحضاري والتاريخي في فهم المعجم القرآني.

- **المصادر والمراجع:**

- القرآن الكريم.
- سفر التكوين من العهد العتيق.

1. جار الله الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه محمود مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط.3، 2009.

2. جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي المتوفى سنة 597 هـ: زاد المسير في علم التفسير، حققه وكتب هوامشه محمد بن عبد الرحمن عبد الله، خرج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول الجزء الرابع من أول سورة يونس حتى نهاية سورة النخل دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

3. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.

4. سعيد عطية علي مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن الكريم، ط.1، دار الآفاق العربية، 2006.

5. شحرور، محمد: القصص القرآني قراءة معاصرة الجزء الثاني من نوح إلى يوسف، ط.2، دار الساقي، لبنان، 2014.

6. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط.1، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، 1325هـ، ط.1، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، 1325هـ.

7. ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2001.

8. الفخر الرازي: تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط.1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1981.

9. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط.1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، 2006.

10. ابن قيم الجوزية: التفسير القيم، حققه محمد حامد ألفقي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت.

11. نقرة، التهامي: سيكولوجية القصة في القرآن، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، الدار التونسية للتوزيع، 1971.

الهوامش:

[1]- قال ابن الجوزي: "واختلف العلماء في قوله: "هيت لك" بأي لغة هي، على أربعة أقوال:

أحدها: أنها عربية ، قاله مجاهد. وقال ابن الأنباري: وقد قيل: إنها من كلام قريش، إلا أنها مما درس وقل في أفواههم آخرا، فأتى الله به، لأن أصله من كلامهم، وهذه الكلمة لا مصدر لها، ولا تصرف، ولا تثنية، ولا جمع، ولا تأنيث، يقال للاثنين: هيت لكما، وللجميع: هيت لكم، وللنسوة: هيت لكن. والثاني: أنها بالسريانية، قاله الحسن. والثالث: بالحورانية، قاله عكرمة، والكسائي. وقال الفراء: يقال: إنها لغة لأهل حوران، سقطت إلى أهل مكة فتكلموا بها. والرابع: أنها بالقبطية، قاله السدي". زاد المسير في علم التفسير، حققه وكتب هوامشه محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.، 156/4

وقال الفخر الرازي: "المسألة الأولى : قال الواحدي : هيت لك اسم للفعل نحو: رويدا، وصه، ومه . ومعناه هلم في قول جميع أهل اللغة، وقال الأخفش: { هيت لك } مفتوحة الهاء والتاء، ويجوز أيضا كسر التاء ورفعها. قال الواحدي : قال أبو الفضل المنذري : أفادني ابن التبريزي عن أبي زيد قال : هيت لك بالعبرانية هيالح ، أي تعال عربه القرآن ، وقال الفراء: إنها لغة لأهل حوران سقطت إلى بكة فتكلموا بها. قال ابن الأنباري: وهذا وفاق بين لغة قريش وأهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم في «القسطاس» ولغة العرب والفرس في السجيل ولغة العرب والترك في «الغساق » ولغة العرب والحبشة في «ناشئة الليل »". تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط.1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1981، 18/115-116.

[2]- ينظر: سعيد عطية علي مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن الكريم، ط.1، دار الآفاق العربية، 2006، ص. 58-62.

[3]. ابن قيم الجوزية: التفسير القيم، حققه محمد حامد ألفقي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت، 314-315.

[4]. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، 3029/3.

[5]. أخرجه مالك في الموطأ ، 1562. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ج.8/ 326. وأخرجه الشافعي في الأم، 160/6.

[6]. الإصحاح التاسع والثلاثون من سفر التكوين، 7. 15.

[7]. ينظر معنى "تراود" في الاستعمال القرآني في: سعيد عطية علي مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن، 264-265.

[8]. جعل الزركشي مما اختصت به هذه القصة حصول الفرج بعد الشدة، بخلاف غيرها من القصص، فإن مآلها إلى الوبال، كقصة إبليس، وقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وغيرهم، فلما اختصت هذه القصة في سائر القصص: بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص. البرهان في علوم القرآن، 29/3.

[9]. قال الطبري: "فمعنى قوله: { فَصُرْهُنّ إِلَيْكَ } اضممهنّ إليك ووجههن نحوك، كما يقال: صُرْ وجهك إليّ، أي أقبل به إليّ. ومن وجه قوله: { فَصُرْهُنّ إِلَيْكَ } إلى هذا التأويل كان في الكلام عنده متروك قد ترك ذكره استغناء بدلالة الظاهر عليه ، ويكون معناه حينئذٍ عنده، قال: فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك، ثم قطعهن، ثم اجعل على كل جبل منهنّ جزءا. وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك إذا قرىء كذلك بضم الصاد: قَطّعهن". جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط.1، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، 1325هـ، 496/5. وقال جار الله محمود بن عمر الزمخشري: "{ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ } بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهنّ واضممهنّ إليك". تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه محمود مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط.3، 2009، ص.149.

[10]. وقال ابن عطية: "ففي اللفظة لغتان قرىء بهما، وقد قال ابن عباس ومجاهد في هذه الآية { صرهن } معناه : قطعهن، وقال عكرمة وابن عباس فيما في بعض ما روي عنه أنها لفظة بالنبطية معناها قطعهن، وقاله الضحاك ، وقال أبو الأسود الدؤلي: هي بالسريانية ، وقال قتادة: { صرهن } فصلهن، وقال ابن إسحاق: معناه قطعهن، وهو الصور في كلام العرب، وقال عطاء بن أبي رباح : { فصرهن } معناه اضممهن إليك(161). وقال ابن زيد معناه اجمعهن، وروي عن ابن عباس معناه أوثقهن". المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2001، 354/1.

[11]. قال أبو عبد الله القرطبي: "اختلف الناس في هذا السؤال؛ هل صدر من إبراهيم عن شك أم لا؟ فقال الجمهور: لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكا في إحياء الله الوتى قط، وإنما طلب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "ليس الخبر كالمعاينة" [...] قال الأخفش لم يرد رؤية القلب، وإنما أراد رؤية العين [...] وذكر [يقصد الطبري] عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس، فقال: ربي أرني كيف تحي الموتى....". الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط.1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2006، 310/4.

12. قال أبو عبد الله القرطبي: " فأخذ هذا الطير كما أُمر فذكاها، ثم قطعها قطعا صغارا، وخلط لحوم البعض مع الدم والريش حتى يكون أعجب ، ثم جعل من ذلك الخليط المجتمع جزءا على كل جبل"، 314/4.

[13]. شحرور، محمد: القصص القرآني قراءة معاصرة الجزء الثاني من نوح إلى يوسف، ط.2، دار الساقي، لبنان، 2014، ص. ص. 109-114.

[14]- ورد في الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين من التوراة من 2 إلى 19 : " فقال ابرام أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما ومالك بيتي هو اليعازر الدمشقي. وقال أبرام أيضا: إنك لم تعطيني نسلا، وهو ذا ابن بيتي وارث لي، فإذا كلام إليه قائلا: لا يرثك هذا، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك، ثم أرجه إلى خارج وقال: انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها. وقال له: هكذا يكون نسلك. فآمن بالرب فحسبه له برا، وقال له: أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها. فقال: أيها السيد الرب، بماذا أعلم أني أرثها، فقال له: خذ لي عجلة ثلاثية، وعنزة ثلاثية، وكبشا ثلاثيا، ويمامة، وحمامة. فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط. وجعل شق كل واحدة مقابل صاحبه. وأما الطير فلم يشقه فنزلت الجوارح على الجثث، وكان أبرام يزجرها....." إلى أن قال: "ثم غابت الشمس فصارت العتمة، وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع. في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات، القبتيين والتنزنيين والقدموتيين والحيثيين.....".

15. ورد في التوراة: "بعد هذه الأحداث أراد الله امتحان إبراهيم فطلب منه أخذ ابنه إسحاق إلى أرض ألمريا ليقدمه محرقة لله. فبادر إبراهيم إلى تنفيذ ما طلب الرب، ولكن ما إن باشر بإعداد المحرقة حتى رأى بالقرب منه خروفا فدية من الله عن إسحق". الإصحاح الثاني والعشرون من سفر التكوين.

ينظر تفصيلا في هذا الموضوع في: نقرة، التهامي: سيكولوجية القصة في القرآن، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، الدار التونسية للتوزيع، 1971، ص. ص. 209. 2019.

16. يقول نقرة: "وهكذا فإن القصص التاريخي في القرآن وإن لم يكن عرضا تاريخيا بالمعنى المعروف، لكنه حجة لا تقبل الطعن في إثبات ما قص من وقائع تاريخية. وقد أبان وجه الحق فيما دخل على بعض القصص من زيف أو تحريف، سواء في كتب العهدين، أو في كتب التاريخ القديمة". سيكولوجية القصة في القرآن، 243.

17. يقول نقرة: "فالتوراة إذن لم تسلم من الأحداث التي تعرض لها اليهود عامة، وأورشليم خاصة. ولذلك يميل المسلمون إلى الرأي بأن اليهود تعمدوا تحريف التوراة. ولقد قام البيروني أيضا بمناقشة عبارات من التوراة من (سفر أشعيا) وغيره مستشهدا على أن التوراة قد تنبأت بظهور المسيح ومحمد عليهما السلام. ثم يتهم عناد اليهود وإنكارهم هذا الأمر نتيجة تحريفهم للتوراة". سيكولوجية القصة في القرآن، 153.